

(أمالي دينية - الدرس الثالث)

(٧) الدين توحيد - « بسم الله الرحمن الرحيم . شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب »
دين الله تعالي واحد يجب ان لا يكون فيه تفرق ولا اختلاف لانه انما وضع لاسماد البشر والسعادة انما تكون في الاجتماع والتوحيد . لانه في التفريق والتعديد . ومن فهم معنى الانسان . وشاهد تصرفه في الاكوان . علم انه خلق ليعيش مجتمعا لا مفردا . ومؤتلفا لا مختلفا . وهذا هو معنى الكلمة المشهورة « الانسان مسدني الطبع » فاذا جاء الدين على خلاف ماقتضيه الفطرة كان شقاء لاسمادة ومحنة لامنحة وأي جهول مجرأ على ان يرمي دين الله بهذه القبيصة الكبرى والمعرة الشنعاء ؟

أول اجتماع بشري هو اجتماع الاسرة (العائلة) المؤلفة من أبنا آدم وأما حواء (عليهما السلام) ومن أولادهما وقد كان آدم نبيا يتلقى عن الله من الدين ما يسوس به ذلك الاجتماع الصغير . وقد فسق بعض ولد آدم عن هدي والده فقتل أخاه . فكانت بذلك مخالفة الدين سنة في الانسان باقية الى ماشاء الله . ثم اتسعت دائرة الاجتماع فكانت اشعوب والقبائل والاقوام والامم وكان الله تعالي يرسل الى كل قوم نبيا « وان من أمة الا خلا فيها نذير » يعلم التوحيد ويدعو الى ما يتم به نظام الاجتماع من التهذيب والتأديب . وكانت آفة كل دين شرعه الله تعالي لعباده اختلاف أهله فيه وتفرقهم الى مذاهب متعددة يضل أهل كل مذهب اتباع المذهب الآخر وينصرون مذهبهم ولو بالتأويل والتحريف وينتهي ذلك باضمحلل الدين وذهاب فائدته بالكلية . بصيروته مشقيا لذويه . مخزيا لمجموع متبعيه ولما استعد النوع الانساني بمقتضى سنة الارتقاء لاجتماع جميع أممه وشعوبه واتصال بعضهم ببعض وهبه الله تعالي الدين الاخير . الذي ترشد تعاليمه الى نظام هذا الاجتماع الكبير . فجاء كتابه (القرآن) ينهى العالمين . عن الاختلاف والتفرق في الدين . حيث كان ذلك هو الذي شتمت شمل العابرين . وجعلهم سلفا ومثلا للآخرين . سعت الآية الكريمة التي افتتحنا بها الدرس وكيف صرحت بان دين الله تعالي على اسان جميع الانبياء

واحد لا ينبغي التفرق فيه. والمراد به أصول الدين وقواعده العامة في الإيمان والتهذيب واجتماع الكلمة وكون الاعمال الشخصية دائرة على محور المنافع الشخصية. والمعاملات دائرة على محور المصالح العمومية. وأما قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » فهو بيان للواقع ومخصوص بفروع الاحكام التي تختلف باختلاف المصالح والمنافع التي تتغير بحسب الازمنة والامكنة بل مثل هذه الاحكام تتغير في الشريعة الواحدة بمثل هذا التغير والاختلاف ولذلك كان من اصول الشريعة الاسلامية تحكيم العرف الذي تجري عليه الناس. ومثل هذا لا يعد اختلافا وتفرقا. لانه تغير في الصورة والعرض. لا في الحقيقة والجوهر. وفي المعنى اتفاق على اجتناب المضار واجتلاب المنافع وما هذا الالباب الدين الذي تزداد به المحبة وتمو الالفة ويكون أهله جسما واحداً لاشيئا مختلفة. وانما نهى الله تعالى عن التفرق الحقيقي الذي يجعل اهل الدين الواحد شيئا مختلفا يتباغضون ويتحاسدون. بل يتلاعنون ويتقاتلون. ويزعمون انهم ينصرون بذلك الدين. ودين الله بري منهم أجمعين. بالغ القرآن في ذم هذا التفرق حتى قال « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » وحسبك تبرة الله تعالى رسوله منهم في كل شيء دليلا على بعدهم عن دينه وتوائهم عن مرضاه. وقال تعالى « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم اليينات واولئك لهم عذاب عظيم » كان الخلفاء الراشدون وعلماء الصحابة واكابر ائمة السلف يحافظون أشد المحافظة على عهد الدين ان يتناثر بالخلاف والشقاق ويحذرون على وحدة الاسلام ان تلم بالتمذهب والافتراق فما ظهر للبدعة نبت الا حصدوه. ولا نجم في رؤوس الفتنة قرن الا قاموه. وناهيك بما فعل سيدنا عمر بصبيغ التميمي وما كان الائمة يجيبون به من يسأل عن التشابه وتأويل القرآن من الزجر والنهر حتى رزي الاسلام بفتنة الخلافة التي كانت ينبوع الفتن وبركان الاحن. فعم بلاء الخلفاء والعلماء والملوك والامراء. وانقسم المسلمون الى مذاهب وظهر فيهم تأويل قوله تعالى « اويابكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض » وغلا بعضهم حتى صاروا أبعد عن الدين من سائر المشركين. واشتملت بينهم نيران الحروب فكانوا عونا لاعدائهم. على امتصاص دماهم. وتمزيق اشلائهم. وهدم بنايتهم. واختصاف ساطعهم. وأخص بالذكر الفرقين العظيمتين - اهل السنة والشيعة اللتين لا ينظر في تاريخهما عار في بحقيقة الدين

وغير على المسلمين . الا وينفطر فؤاده من الغم . ويرسل الدمع ممزوجاً بدم . لان مشار
الخلافاً بينهما مثله فرعية ذهب وقها وذهبت فائدة ظهور الصواب فيها بحيث لا يمت
للتنازع . ولا مجال للتقاطع . لو انصف الفريقان . وتاملوا معاملة الاخوان . التي يوجبها عليهم
القرآن . الذي يدعي له الاثنان * اشتد كل فريق في مجادلة الآخر ومجادلته . وما هضته
ومواثبه . ولو سلكوا طريق القرآن . لوضح الحق واستبان . أمر الله نبيه ان يحاج
المشركين بمثل قوله « قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا اواباكم اعلى
هدى اوفي ضلال مبين . قل لا تسألون عما أجرنا ولا نسال عما تعملون » . أين هذا التلطف في
الدعوة الى الحق الذي اسنده النبي بأمر الله الاجرام الى نفسه والمؤمنين بمجارة للمشركين وحكاية
للفاظهم . وسمى به شركهم عملاً ولم يصفه بكلمة ذم لئلا ينفروا من سماع الحق ؟ - اين
هذا مما جرى عليه المسلمون مع اخوتهم في الدين حيث يسمع احدهم عن الآخر كلمة يريها
اياها فهمه السقيم او السليم خطأ فيملاً عليه الدنيا تشيماً ويؤلف الكتب في الرد عليه
واتضايه او تكفيره فيضطره الى مقابله بالمثل ويعمي عن الحقيقة ان كان مبطلاً وينتصر
لكل منهما المنتصرون فتعظم الفتنة وتعم المحنة ؟ هذا ما كان وهذا ما هو كائن فالطقت الاله بتنا
فيا سيكون . امر الله تعالى نبيه ان يدعو اهل الكتاب بمثل قوله « قل يا اهل الكتاب تمالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من
دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون » وان يلاطفهم بمثل قوله « ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » بل ووعدهم بانهم اذا دخلوا في الاسلام يؤتون
اجرهم مرتين واذا ظلوا على دينهم كان لهم مالنا وعليهم ما علينا وندافع عنهم بما ندافع عن
انفسنا . فهل يصح لاهل هذا الدين ان يجادل بعضهم بعضاً بالتي هي أسوء والله تعالى
يقول لهم « ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » أما وسر الحق لو ان
قومنا ساروا على نهج القرآن في مقارعة البدع لما اتسع الخرق على الراقع . وقد كان شأن
قومنا في ذلك كما قال استاذنا الاكبر في رسالة التوحيد وهو « بقيت علينا جولة نظر
في تلك المقالات الحمقى التي احتبط فيها القوم احتباط اخوة تفرقت بهم الطرق في السير

لم يقصد واحد حتى اذا التقوا في غسق الليل صاح كل فريق بالآخر صيحة المستخبر
 فظن كل ان الآخر عدو يريدمة راعته على ما يده فاستحرت بينهم القتال ولا زالوا يتجادلون
 حتى تساقط جاههم دون المطلب . ولما اسفر الصبح وتعارفت الوجوه رجع الرشد الى من
 بقي وهم التاجون . ولو تعارفوا من قبل لتعاونوا جميعاً على بلوغ ما أملوا ولو اقتسم
 الغاية اخوانا بنور الحق مهتدين . كتب الاستاذ هذا بالنسبة لمسئلة واحدة وهي تصدق
 علينا في كل مسئلة مما اختلفنا فيه فكنا به شيعا ومذاهب والى الآن لم تعارف ولم نطلب
 الاخوة الايمانية الصحيحة وانما يكون ذلك بتعميم التعليم الذي زريده . وهو مبني على
 على ان الاسلام ضد التمدب لانه جاء لجمع المال وتوحيدها . والتمذهب انما كان لتفريق
 الملة الواحدة وتعديدها . فالاعتقاد الذي نعلمه هو ما جمع عليه الذين يعتقد باسلامهم وكل
 ما اختلفوا فيه لا يتوقف الاسلام عليه ويجب ان يكون الاختلاف فيه كالاختلاف في سائر
 المسائل العلمية لا يثير شغباً ولا يحدث مذهباً . مثلاً ان المسلمين مجتمعون على ان الله عالم
 لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء ومختلفون في ذلك العلم هل هو صفة
 وجودية زائدة على الذات أو هي عين الذات اول العين ولا غير . ولا شك ان هذا البحث
 اقرب الى الفلسفة منه الى الدين وهو لم يذكر في القرآن ولا في السنة ولا ورد في آثار
 السلف الصالح . وكذلك مسئلة الخلافة التي كانت علة العالم لجميع الانحراف والزلل
 فانها ليست من اركان الدين واصوله كما قلنا آنفاً .

لا اذكر في دروسي هذه من مسائل الخلاف الا ما عساه يتوقف عليه فهم المتفق
 عليه ولا خوض في شبه المتدعة لئلا يعلق منها شيء في الاذهان الضعيفة فيفسدها ويميتها
 فقد علمنا ما فعل ذلك بمن قبلنا من كانوا خيراً منا علماً وعملاً بحيث لا تقاس علماءنا
 في الغالب بعلمهم فضلاً عن ان نقيس دهائنا بدهائهم ونسائنا بنسائهم . بل لا يجوز لاحد
 سرد تلك الاقاويل المفرقة والشبه المضللة على العامة . من أحب الوقوف على مسائل
 الخلاف فعليه ان يتبع قوة الدليل ان كان من اهل النظر والا فليقلد الجمهور الاكبر
 ولا يكفر من خالفه فيما اعتقده ولا يجمان الخلاف مانعاً من اخوة الايمانية . واذا ذكره
 أو كاتبه في ذلك فليسلك معه مسالك الاخوة في مذاكرتهم بمصالحهم ومنافعهم

السني والشيبي والمعتزلي والوهابي الخ كلهم مسلمون امامهم القرآن وتبهم محمد عليه السلام .
 فيجب ان يكونوا اخوة فمن شذ عن هذه الاخوة يجب ان تلتطف بمجذبه اليها لا ان نعديه
 وتفر منه . هذا هو صراط المؤمنين اذا سلكناهم نجونا والا ازددنا هلاكا ودمارا .
 ولا نجد لنا من دون الله نصارا

الاحتفال بالثورة

احتفالات الحكومة امس بمولد سمو العزيز افندينا عباس حلمي باشا الحديو المعظم . فسنال
 الله تعالى ان يعيد على مصر امثال هذا الاحتفال . وسمو الامير في كمال عز واقبال
 ما تعاقبت الاعوام والاحوال

﴿ شذرات ﴾

أخّرنا مقالة (حجج مثبتة الكرامات) لنشر المقالة الافتتاحية التي جاءتنا من احد الافاضل
 فاغتننا عن الرد على ذلك الباحث الذي اشتبه عليه الامر فاشتبهت بكلامه الحقيقة على
 كثير من الناس لما في كلامه من المسائل الدينية التي هي صحيحة في ذاتها ولكنها وضعت
 في غير موضعها والمسائل التي يحقّ رها الافرج وهي غير صحيحة كقوله انهم يتدثون
 الترية في السنة السابعة للولد وان اشتباه هذا الامر على مثله كاشتباه تينك المسألتين على
 رئيس جمعية مكارم الاخلاق التي هي موضع رجائه في اسعاد الامة - يدلنا على اتنا في
 أشد الحاجة الى علم واسع واختبار تام لاجدهما في كتبنا ولا في دروسنا وجمعياتنا لاسيا
 ما يتعلق بشؤون عصرنا الذي اختلفت فيه طرق المعيشة وأساليب العمران عن عصور
 اسلافنا وفتن سادتنا وكبرائونا (الاقليلا) بزخرف مدينة أوروبا وتركوا حمادها وقضائلها
 فصرنا محتاجين لارجاعهم الى القيام بمصالح العامة من الطريق الذي له مكانة عليا في
 نفوسهم . فجزى الله سعاده أحمد فتحي بك افضل الجزاء على تصديه لذلك والله
 لا يضيع اجر المحسنين

حكّم على ديفوس بالسجن عشر سنين ثم عفي عنه لان الحكم عليه كان سياسيا
 لا قضائيا عادلا . وهذا دليل على براءته التي افصحنا عن اعتقادنا اياها في ابتداء الفتنة
 زار سفير فرنسا في الاستانة العلية سماحة شيخ الاسلام من مدة وقد ذكرت
 الجرائد هذا الخبر الغريب لانه لم يسبق للسفراء من قبل زيارة مشايخ الاسلام ويظن ان
 ذلك لامر مهم لما يظهر سره لاحد